حوليات الجامعة التونسية - عدد 2006/50 ص ص 179 - 219

موقف موسى بن عزرا من البيان العربي

محمد الهدلق
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا عالم، وناقد، وشاعر يهودي. ولد في مدينة غرناطة بالأندلس، وقد اختلفت الآراء في تحديد تاريخ ولادته كما اختلفت في تحديد تاريخ وفاته [(1)]. ويرجّح بعض الباحثين أنه ولد في حوالي عام 1055 م الموافق 447 للهجرة وأنه

(1) Joseph Jacobs, Isaac Broyde, "Ibn Ezra, Moses Ben Jacob ha - Sallah'. Jewish Encyclopedia. "Ibn Ezra, Moses Ben Jacob ha - Sallah" The New Encyclopedia Britannica, Chicago, 1987,vol.6, p 219-220 . Isidore Epstein, Judaism, London, Penguin Books, 1966, p.193.

د . شعبان محمد سلام، الأثر العربي في الشعر العبري، القاهرة، 1981 (لم تذكر دار النشر)، ص 166. د. أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري، أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرة وكتابه : المحاضرة والمذاكرة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد، 10، 1984، ص، 65، 67. ويلاحظ هنا أن الدكتور شحلان يسمي ابنَ عزرا "ابن عزرة".

توفي في إسبانيا المسيحية فيما بين عامي 1135 م - 1140م، الموافق 530 - 535 للهجرة.[2]

وقد ولد موسى بن عزرا لعائلة مشهورة من يهود الأندلس تنتمي إلى جالية القدس[3]، وكان له ثلاثة إخوة عُرِفوا بالعلم وهم : إسحق،

---

(2) الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 37، 166. موسى بن عزرا، كتاب المحاضرة والمذاكرة، (ألف ابن عزرا هذا الكتاب باللغة العربية لكنه مكتوب بحروف عبرية. وقد تولى الدكتور شعبان محمد سلام، أستاذ اللغة العبرية السابق بكلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود بالرياض، تحقيقه وتحويله إلى حروف عربية. وقد ذكر الدكتورشعبان سلام أنه قد اعتمد في تحقيقه للكتاب على نسخة خطية محفوظة بمكتبة بودليان بأكسفورد تحمل الرقم 599. وقد استفاد في تحقيقه من الترجمة العبرية للكتاب التي قام بها الحاخام "بن تسيون هلبر" والمنشورة في عام 1924، والنشرة المحققة للكتاب التي قام بها "أبراهام شلومو هلكين" والتي نشرها في القدس مع ترجمة إلى العبرية في العام 1975. والكتاب المحقق منسوخ على الآلة الكاتبة، وقد اطلع الباحث على نسخة منه). انظر : كتاب المحاضرة والمذاكرة، مقدمة المحقق، ص 1 - 3، 6. كما أن الدكتور أحمد شحلان قد نشر جزءا من كتاب المحاضرة والمذاكرة، وهو المطلب الثالث الذي عنوانه : "كيف صار الشعر في ملة العرب طبعا وفي سائر الأمم تطبعا". في الجزء العاشر من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط عام 1984، الصفحات 65 - 98، وذلك ضمن بحثه الموضح في الهامش رقم 1. وقد ذكر الدكتور شحلان في الهامش رقم 2 من الصفحة 65 من بحثه المشار إليه أعلاه أنه أخذ المطلب الثالث الذي تولى نشره، من النشرة التي أخرجها (هلقين) في القدس عام 1974. كما ذكر الدكتور شحلان في الهامش رقم 1 من الصفحة 65 من بحثه المشار إليه ما يلي : "سنعرض الكتاب عرضا موجزا لأننا نأمل أن يطلع عليه القارىء الكريم بعد أن ننشره كاملا". وانظر أيضا : ص، 66 . ولا أدري عما إذا كان الدكتور أحمد شحلان قد حقق أمله في نشر الكتاب كاملا أم لا.

د . إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963، ص، 102 - 103

وانظر بشأن تحويل التواريخ المشار إليها أعلاه من الميلادي إلى الهجري وبالعكس، كتاب :
G .s .p . Freeman - Grenville - The Muslim and Christian Calendars, London,1963, p.28, 31

(3) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 73.
"Ibn Ezra Moses" The New Encyclopedia Britannica, vol,6, p . 219

ويوسف، وزِرهياه[4]. وقد درس موسى بن عزرا على عدد من مشاهير العلماء في عصره من اليهود والعرب. وأشهر أساتذته من اليهود العالم والأديب إسحاق بن غياث، الذي درس عليه في أليسانة، المدينة التي تُعَدُّ المركزَ الرئيس ليهود الأندلس. وقد أشار ابن عزرا في كتاب المحاضرة والمذاكرة إلى تلمذته لابن غياث وأخذِه عنه وقال إن ما لديه من معرفة إنما هو قطرة من بحاره، وشرارة من ناره[5]. وقد كان موسى بن عزرا على صلة وثيقة بالمثقفين في عصره من اليهود والعرب، وكان يجيد الكتابة باللغتين العبرية والعربية وقد ألّف بهما . كما أنه كان شاعرا متميزا في اللغة العبرية[6].

والمعلومات الموجودة بين أيدينا عن حياة موسى بن عزرا ضئيلة، وتشير بعض المصادر إلى أنه قد تعرض إلى أزمة عاطفية أثّرت فيه كثيرا فقد أحبّ ابنة أحد إخوته الكبار، ويبدو أن الفتاة قد بادلته حبا بحب، ولكنه عندما تقدم إلى أبيها طالبا يدها رفض أبوها طلبه وزوجها من أخ آخر أصغر منه. وقد توفيت الفتاة بعد زواجها بزمن قصير أثناء عملية

(4) Ibn Ezra Moses" Jewish Encyclopedia.

وقد أشار موسى بن عزرا في الصفحة 89 من كتاب "المحاضرة والمذاكرة" إلى أخيه الأكبر عندما كان يتحدث عن المتأخرين من الشعراء اليهود من أهل غرناطة فقال : "ومن أهل القول الرصين والشعر المبين أبو إبراهيم أخي وكبيري، كان رحمه الله، استعان على لطف المقال وعذوبة الشعر بفساحة باعه في العربية. توفي بأليسانة". وانظر أيضا :

"Ibn Ezra Moses" The New Encyclopedia Britannica, vol.6, p.219

(5) كتاب المحاضرة والمذاكرة .ص، 87. الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 166. وانظر :

"Ibn Ezra Moses" Jewish Encyclopedia

أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ... "، ص 67.

(6) انظر : كتاب المحاضرة والمذكرة، ص، 7 - 8، 66، 106. الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 102 - 104. الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 166. وانظر نماذج من شعره في كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 107 - 108، 200، 203، 208، 209، 210، 212 ، 268 - 273.

وضْع، وقد رثاها موسى بن عزرا بقصيدة مؤثرة [7]. لقد أثرت حادثة رفض أخيه تزويجه من ابنته على نفسيته كثيرا فساءت علاقته بإخوته، واعتزل الناس، ثم غادر غرناطة سنة 1095 م ليعيش في إسبانيا المسيحية. كما أن الحادثة وملابساتها قد أثرت كثيرا في شعره ومجرى حياته فقد قال في مقدمة كتابه "المحاضرة والمذاكرة" مجيبا سائله الذي سأله عن ثمانية أشياء طلب منه الإجابة عليها :

"ولقد وافق مطلوبك مني عجزا وكسلا وفتورا وثقلا لوجهين : أحدهما تخوفا من أُسَمّى عند أهل العامة من أهل تفرغ البال، لما هم عليه أهل وقتنا من الاستثقال للأدب ... والوجه الثاني ما رماني به الدهر في آخر العمر من الاغتراب الطويل، والاكتئاب المتصل في أفق بعيد وثغر سحيق، فأنا مسجون في حبس، بل مدفون في رمس، وحَقٌّ ما قيل : ليس العاقل أقنعَ برزقه منه بوطنه، وفي قرآن العرب : "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم" فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم" [8].

لا ندري بالضبط أين كان موسى بن عزرا مقيما عندما كتب هذا الكلام. نحن نعلم أنه ترك غرناطة بعد الحادثة التي ذكرناها، ونحن نعلم أنه توفي في إسبانيا المسيحية بعد أن أقام فيها أربعين سنة يشكو الوحدة والضياع، ولكننا لا نعرف اسم المدينة التي توفي فيها [9]. وابن عزرا في هذا الكلام الذي اقتبسناه منه يشير إلى اغترابه في أفق بعيد وثغر

(7) "Ibn Ezra Moses" The New Encyclopedia Britannica, vol. 6. p.219 ."Ibn Ezra Moses" Jewish Encyclopedia.

وانظر أيضا : الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 102.

(8) كتاب المحاضرة والمذاكرة، 39. أحمد شحلان "من الأدب العربي- العبري ..." ص ، 67 - 68.

(9) الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 166. أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 67.

سحيق، وهو فيما يبدو يشير إلى اغترابه في إسبانيا المسيحية. وواضح من كلامه ما يعانيه من حزن وأسى نتيجة اضطراره لترك مسقط رأسه.

وقد أورد في كتاب المحاضرة والمذاكرة كلاما يدل على ما انتهى إليه أمره من زهد في الدنيا، وقناعة بالقليل بعد ما لاقاه من عسف الزمان وتقلب الأحوال، يقول :

"أما أنا فلست من المتظلمين من الأيام، ولا من الذامين لهذه الأخلاق من الأنام لوجهين أحدهما : لأني ذقت من الزمان أمَرَّيه، وحلبت شطريه، وأصابني تقلبه، ونال مني تعديه وتسببه، وأدبر عني بعد إقباله، وأساء إلي إثر إجماله، وكذا الأيام تزري بالأنام، والأهوال تذهب بالأحوال ... وفي قرآن العرب : وتلك الأيام نداولها بين الناس وما يعقلها إلا العالمون ... والوجه الثاني : ما مَنَّ علي من النعمة التي أستعين به على شكرها، وأستعيذ بفضله من كفرها . وذلك القنوع بالقليل والتبلغ باليسير، والاستسلام إلى المقدور، وقلة الأماني والغرور ... فالعزيز من هانت عليه الدنيا، والذليل من عظمت في عينه" (10).

وكما سبق أن ذكرنا من قبل فإن المعلومات الموجودة لدينا عن موسى بن عزرا قليلة ولهذا فإننا نجهل الكثير من أخباره ،كما نجهل العدد الدقيق لمؤلفاته العلمية والأدبية. ومن بين ما وصل إلينا من مؤلفاته كتاب ألفه باللغة العربية في الفلسفة عنوانه "الحديقة في معنى المجاز

(10) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 101 - 100، 102، 105. وقد ذكر الدكتور أحمد شحلان أن ابن عزرا ظل أربعين سنة في إسبانيا المسيحية "يعيش الوحدة والضياع والفقر، ويردد ذكرى أيامه الزاهرة بغرناطة، ويتأسف على المنهل العذب الذي تركه هناك، إذ يشعر بأنه وسط أقوام جهال متبجحين مرائين. وازداد حزنه مع تقدمه في الشيخوخة، وبعدما مات أحد أبنائه تنكر له الآخرون، كما تنكر له اخوه يوسف الذي كان يعتمد عليه في عيشه، ولم يقم أوده إلا بعض الأغنياء من أبناء بلدته الذين قاسموه منفاه" انظر : "من الأدب العربي - العبري ..." ص ، 67.

والحقيقة" [11]، وكتاب "المحاضرة والمذاكرة"، ألفه باللغة العربية لكنه مكتوب بحروف عبرية، وقد تحدث فيه عن الأدبين العبري والعربي. وله بالإضافة إلى ذلك أشعار كثيرة في موضوعات دينية ودنيوية. وقد ذكر في كتاب المحاضرة والمذاكرة أن ما بأيدي الناس منها "نَيَّفَ على ستة آلاف بيت في وجوه مفترقة ومعان مختلفة، تلونت بتلون الإنسان ... منها عدة كلمات في تقريض إخواني وأوليائي، وتأبين إخوتي وأحبائي، ومنها ما عللت بقولها نفسي، وجعلتها سببا لإحياء ميّت أنسي" [12]. وقد ذكر موسى بن عزرا أنه كان مغرما بالشعر في أيام الصبا وأوان الحداثة، وأنه كان يعُدُّه من المفاخر، ومن جملة أدوات المآثر، ثم رفضه وتركه ترك الظبي ظله وذلك "طمعا في إتلاف العمر في شيء هو أشبه منه" (هكذا) [13]. ومع ما صرح به هنا من أنه قد ترك الشعر وهجره فإنه قد اعترف في موطن آخر من كتاب المحاضرة والمذاكرة بأنه لم يقلع تماما عن قول الشعر، فهاهو يقول بعد استطراد طويل تحدث فيه عن كساد سوق الأدب في عصره، وعن فساد طباع الناس، وعن أسباب تركه الشعر : "ومع هذا لم أُقلع من قول الشعر جملة عند الضرورة إليه" [14]. وقد قدَّم ابن عزرا في كتابه نصائح قيمة للشاعر، والخطيب، وفي خاتمتها طرح التساؤل الآتي : "وعسى قائلا (هكذا) يقول لي : هل حرزت في كلامك هذه الوصايا المألوفة، وتحرزت من العثرات الموصوفة،

---

(11) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 7، 87. وانظر : أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 69. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن عزرا عندما يشير إلى كتاب من كتبه فإنه يصفه بأنه "مقالة" ولا يسميه كتابا. انظر مثلا : كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 38، 39، 87.

(12) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 106. وانظر أيضا : 7 - 8. الأثرالعربي في الشعر العبري، ص، 166. الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 102 - 104. أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 68 - 74.
"Ibn Ezra Moses" Jewish Encyclopedia . "Ibn Ezra Moses" The New Encyclopedia Britannica,vol.6.p.219 - 220. Judaism,p,193.

(13) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 99.

(14) المصدر نفسه، ص، 106.

فسلم كلامك من النقد، وبرىء من القدح ؟ فالجواب لا، بل أنا معترف مقترف لوجوه منها : نقصان فطرة البشر، وانحراف بديهة الحي الناطق باختلاف الأمزاج وميلانها ... وأيضا إن الكلام الموجود لي منه ما قلت في أيام سكر الشباب وبلهنية العيش ... وأنا يومئذ غيرمتحنك فجاء بعضه سَكْبٌ في الإناء وسكب في الأرض، وفات عن يدي ولم يمكن استدراكه، وإن لم تشبعه حجتي، ولا أقنعته مقالتي، بل قصد تفنيدي على أني أوصيت بالتحفظ مما قد أبحته لنفسي، قلت له ما قال بعض الزهاد : أيها الناس لو لم يعظكم إلا من لاذنب له لما وعظكم أبدا، وقال غيره من السياح : أيها الناس، لا يمنعكم أسوأ ما تعلمون عنا عن قبول خير ما تسمعون منا .. " [15].

وقد أشار موسى بن عزرا في "كتاب المحاضرة والمذاكرة" إلى مؤلَّفٍ آخر من مؤلفاته ذكر أنه "في فضائل أهل الآداب والأحساب" وأنه قد تحدث فيه عن عدد من مشاهير العلماء والأدباء الذين برّزوا في صنوف من العلوم الشرعية والفقهية، والآداب العربية والكتابية، والآراء الفلسفية، والصناعة المنطقية، والنجومية، والهندسية، والطبية ولكنهم لم يقولوا الشعر [16]. كما أنه قد أشار إلى أن له مؤلفا آخر في موضوع "الجناس" قسمه إلى عشرة أبواب، وهو يتضمن ما يزيد على الألف ومئتي بيت مجنسة الأعجاز. وقد أوضح ابن عزرا أنه قد جمعه أيام الشباب والفراغ. [17] وذكر الدكتور شعبان محمد سلام أن ابن عزرا قد ألّف هذا الكتاب لصديقه الوزير إبراهيم بن مهاجر. [18] ولابن عزرا بالإضافة إلى ما ذكرناه مؤلفات أخرى ليس هذا البحث مكان استقصائها.

(15) المصدر نفسه، ص، 185 - 186.

(16) المصدر نفسه، ص، 93.

(17) المصدر نفسه، ص، 208. وانظر : الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 104.

(18) الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 166.

كتاب المحاضرة والمذاكرة :

الكتاب الذي يهمنا في هذا البحث هو كتاب "المحاضرة والمذاكرة"، وقد ألفه موسى ابن عزرا ليجيب به على أسئلة ثمانية وجهها إليه شخص ما. ولم يوضح ابن عزرا اسم ذلك السائل وإنما وصفه في مقدمة الكتاب بأنه "الحكيم الحبيب الكريم" [19]، ووصفه في موطن آخر من الكتاب بأنه "الابن البار" [20]. وقد يكون السائل شخصية حقيقية وقد يكون شخصا متخيلا، فمثل هذا التقليد نجده كثيرا في المؤلفات العربية. والأسئلة التي وجهها إليه ذلك السائل تنصب على المسائل الآتية :

1 - أمور استبهمت عليه من أمر الخطب والخطباء

2 - أموراستعجمت عليه من شأن الشعر والشعراء

3 - كيف صار الشعر في ملة العرب طبعا وفي سائر الملل تطبعا ؟

4 - هل كان للملة الإسرائيلية أيام دولتها شعر موزون ؟

5 - متى عنيت الجالية اليهودية في الأندلس بقرض الشعر ؟ ولم كانت أعنى بسبكه وأحكم في حوكه من غيرها ؟

6 - طلبَ السائل من موسى بن عزرا أن يعرض عليه إنموذجا من الآراء التي استحسنها في هذا الشأن.

7 - هل من الممكن قرض الشعر في النوم ؟

8 - طلبَ السائل من موسى بن عزرا أن يرشده إلى أمثل طريقة.

---

(19) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص 38.

(20) المصدر نفسه، ص 41.

يأخذ بها نفسه في صنعة القريض العبراني على القانون العربي[21].

وقد جعل موسى بن عزرا هذه الأسئلة الثمانية فصولا أقام عليها كتابه.

وبإلقاء نظرة على هذه الأسئلة نجد أن أكثرها قد انصب على الشعر ولذلك فإنه قد ظفر بنصيب الأسد من هذا الكتاب. أما النثر فإنه لم يتحدث إلا عن نوع واحد منه وهو الخطابة، وحديثه عنها جاء مختصرا وهامشيا. أما الترسل والمقامات والتوقيعات فلم يتعرض إليها.

ويلفت نظر قارىء هذا الكتاب سعة معرفة موسى بن عزرا بالثقافتين العربية والعبرية، واطلاعه الواسع على الثقافة الفلسفية اليونانية واستفادته منها.

ونظرالأهمية مايورده موسى بن عزرا من معلومات تتعلق بالأدبين العربي والعبري ؛ ولأن الكتاب - حسب علمي - غير متاح لكثير من الدارسين العرب فقد حرصت على إيراد كلام ابن عزرا بنصّه في معظم ما أوردته من أقواله.

العرب والعربية :

تحدث موسى بن عزرا عن المنزلة التي احتلها العرب بين شعوب العالم فيما يتعلق بالمعارف الإنسانية فقال :

"اعلم أرشدك الله أن الملل المشهورة، والنِّحَل المذكورة الحاملة للعلوم، الناقلة للمعارف، كالهند وفارس ويونان والترك والقبط وغيرها، تشاغلت بعضها بالمعارف العلمية سعيا في التقدم بظنها، والوقوف على بعض المغيبات بزعمها، ... وبعضها بالعلوم البرهانية الإلهية والطبيعية، وبعضها

(21) المصدر نفسه، ص، 38.

بأحكام المهن الصناعية، وكانت الخطب والأشعار ... بعضَ أدواتها وجزءًا من آلاتها. وأما هذه العصابة الإسماعيلية، الذين يسمون بأهل المدر لما سكنت حواضر الحجاز وبواديها، وهي جزيرة العرب التي كانت قطيعها من الدنيا ... فلم تكن من نحل العلوم ولا من ملل المعارف، ولا منحهم الله علما سوى البيان، ولا هيأ طبعهم للعناية بغير فصاحة اللسان، ولا تفاخرت على غيرها من الأمم والقبائل إلا بإحكام لغتها، ونظم أسجاعها وأراجيزها وأشعارها عند الري والجدب، ولدى السلم والحرب. وبهذا فخر بعضهم قائلا : لسان العرب بين الألسنة كزمن الربيع بين الأزمنة. وقد أثنى الفيلسوف عليها في بعض رسائله إلى الإسكندر وأوصاه بهم، ووصفهم بسعة المنطق، وذلق اللسان، والمعرفة بالشعر، والتوسع في المادح والمذام، والمروءة والأنفة، وغير ذلك من الأخلاق التي جبلت عليها " [22].

كما أن ابن عزرا قد صرح في موطن آخر بما وهبه الله للعرب من طول الباع في ميدان البيان إذ قال : "وأما ملة العرب فنظمت ونثرت في أكثر الأشياء، وفي معظم فنون الدنيا، من فضل ونقص، ومدح وقدح، ونقض وإبرام، وفي كل التشبيهات، وفي جميع المتضادات بما أتاح الله لها من

(22) المصدر نفسه، ص، 56 - 57، وقارن ما أورده ابن عزرا هنا بما ذكره أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، بلا تاريخ، ج، 3، ص، 13 - 14، 27 - 29. وقارنه أيضا بما ذكره الجاحظ عن يعض الأمم وما تمتاز به كل منها في : "مناقب الترك" ضمن "رسائل الجاحظ" تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1964، ج، 1، ص، 67 - 71. وانظر : عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي : سر الفصاحة، شرح وتصحيح، عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، 1389 /1969، ص، 40 - 43، 45. صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق، حياة بو علوان، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1985، ص، 33 ، 38 - 39، 40 - 42 - 45، 49 - 51، 70 - 81، 106، 111 - 115، 118، 120 -121، 126. أحمد شحلان، "من الأدب العربي - العبري ... "، ص، 76 - 77.

طول اللسان، وسعة البيان" [23]. وأشار إلى أن اليهود الذين عاشوا بين العرب في جزيرتهم قد تأثروا بهم حتى "خف نطقهم، ورقت ألسنتهم، ولطف قريضهم ... فانبعث الشعر منهم، وتبرعوا في القريض نحو السموأل بن عاديا والربيع بن الحقيق (هكذا) وغيرهما" [24]. ثم أردف ابن عزرا أن اليهود الذين عاشوا بين العرب في جزيرتهم ربما كانوا عربا اعتنقوا اليهودية قبل ظهور الإسلام فقد كان من العرب حسب قوله "دخلاء في دين اليهود، قبائل نحو حمير، وكندة، وبنو كنانة، وسواهم" [25]. وأضاف موسى بن عزرا أن حسن المنطق لدى العرب يجري "فيهم مجرى الطبيعة في الرجال، والنساء، والزّمناء، والأطفال المذورين، والغفّال، ودهماء العامة، وهمج البادية، وغثاء السواد" [26]. وهو يرى أن العرب اكتسبوا هذه الفصاحة بسبب "كوكبهم، ومزاج إقليمهم، وأهوية بلادهم، ومياهها المجففة لرطوبة ألسنتهم بتوسط، فجاء كلامهم دون كلام الحبشة في اليبس، وفوق كلام الصقلب في الرطوبة" [27]. ثم عقد مقارنة بين العرب العاربة، والعرب المستعربة في ميدان الفصاحة ففضل أبناء إسماعيل على العرب العاربة حيث قال :

"وهؤلاء الإسماعيليون لما سكنوا هذه الجزيرة الموصوفة، لمصاقبتها لديار فارس والعراق والشام، رَقّ كلامهم، وعَذُبَ قريضهم، ولطفت

---

(23) كتاب المحاضرة، ص، 45. وقارن هذا الكلام مع ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، ج، 3، ص، 28. ورسائل الجاحظ، ج، 1، ص، 70.

(24) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 57. وانظر : محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراه وشرحه محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، 1974، ج، 1، ص، 282 - 297. أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 79.

(25) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 57 - 58. وانظر : طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص، 282. طبات الأمم، ص، 115 - 116. أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..." ص، 79.

(26) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 57. وانظر : البيان والتبيين، ج، 3، ص، 28.

(27) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 57. وانظر : طبقات الأمم، ص، 120.

خطبهم أكثر من العرب العاربة القحطانية، سكان الصحراء، وهم أهل الوبر بنو إبراهيم عليه السلام من قطورة "[28]. ثم أضاف موسى بن عزرا أن أشعار الإسماعيليين والقحطانيين وخطبهم مما لا يحصى كثرة لأن البيان هو "علمهم الأقدم وحظهم الأعظم"[29].

وأشار ابن عزرا إلى أن المسلمين يرون أن فصاحة قرآنهم هو الدليل المعجز على صحته، وأن البلغاء منهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله،[30] وأضاف أنه بسبب "اقتدار هذه القبيلة (العرب) على المقال، وسعة باعها في الخطاب، شنت الغارة على كثير من اللغات وعرّبتها وانتحلتها بظهور الكلمة وعظم السلطان، وغلبتها على ملك فارس بخراسان، وعلى ملك الروم بالشام، وعلى ملك القبط بمصر، فاتسع نطاقها، وفشت المعارف في أقطارها وآفاقها، وترجمت جميع العلوم القديمة والحديثة وانتحلتها وزادتها شرحا وبيانا، فما ولّف وترجم في ملة من العلوم ما أُلف وترجم في هذه الملة بما وُهِبت من سعة اللغة، ورُزِقَت من فضل الخطاب، وقد شهدت لها بعض النبوات بذلك"[31].

الأدب العربي وتأثيره في الأدب العبري :

ذكر موسى بن عزرا أنه لا يعرف لليهود إبان دولتهم ماهو خارج عن المنثور إلا الأسفار الثلاثة : المزامير، وأيوب، والأمثال. وهذه الأسفار

(28) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 57. وانظر : رسائل الجاحظ، ج، 1، ص، 74. أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 83.

(29) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 61. وقارن مع : طبقات الأمم، ص، 118.

(30) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 61. وانظر بشأن رأي المسلمين في إعجاز القرآن : محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف. الطبعة الرابعة، 1977، ص، 33 - 50. وانظر أيضا : أحمد شحلان "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 86 - 87 .

(31) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 62 - 63. وانظر : أحمد شحلان" من الأدب العربي - العبري ... "، ص، 88 - 89.

كما يقول : "غير راجعة إلى وزن ولا قافية على مذهب العرب، وإنما هي كالأراجيز على حيالها. وقد اتفق في بعضها شيء من طريق الرجز ... وقد شهد النص لسليمان الحكيم عليه السلام بالنظم والنثر، التي هي الأمثال ....، ومن الشيوخ من اعتقدها قصائد، وكُنْه هذا المنظوم وحقيقة وضعه لا أعلمه، ولا له عندنا عين ولا أثر" (32). فالتراث العبري المنظوم إذن قد ضاع بسبب الشتات والتوزع في الديار بل إنه "باتصال الجلاء وطول مدة البقاء ذهب اللسان العبراني وباد وانقطع أو كاد ... فما بقي من اللغة العبرانية باقية غير الأربعة وعشرين سفرا المقيدة التي لم تتضمن من اللغة إلا ما دعت ضرورة المعنى إليه" (33). وذكر موسى بن عزرا أن كل جالية من الجاليات اليهودية قد تأثرت بالبيئة التي عاشت فيها وأصبحت تتشبه بأهلها وتحاكيهم إلا في المسائل الدينية. وهو في ظل ما بين يديه من اللغة العبرية لايستطيع أن يحدد أيّ الجاليات كانت أسبق إلى نظم الشعر العبري على طريقة العرب، تلك الطريقة التي يلتزم الشاعرُ فيها بالوزن، والقافية، وحرف الروي، لكنه يضيف أن جالية الأندلس التي عاشت بين العرب قد برعت في الشعر على هذه الطريقة. (34) وقد تحدّث بالتفصيل عن هذه الجالية، وعن سعيها إلى إحياء اللغة العبرية، ووضع نحوٍ لها، ثم بداية محاولاتها في نظم الشعر، واعتنائها به إلى أن بلغ عندها منزلة لا تضاهيها فيه أيةُ جالية من الجاليات الأخرى يقول : "ولما استفتحت العرب جزيرة الأندلس المذكورة على القوط، الغالبين على الرومانيين أصحابِها بنحو ثلاث مائة سنة قبل فتح العرب لها، الذي كان على عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان من ملوك بني أمية من الشام،

(32) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 68. وانظر أيضا : الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 79 - 75. الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 22 - 1.

(33) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 71.

(34) المصدر نفسه، ص، 68، 73 - 74. وانظر أيضا : الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 79 - 83. الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 23 - 35.

سنة اثنتين وتسعين لدعوتهم المسماة بالهجرة، تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم، ولقِنت بعد لأيٍ لسانهم، وتبرعت في لغتهم، وتفطنت لدقة مراميهم، وتمرنت في حقيقة تصاريفهم، وأشرفت على عذوبة أشعارهم. حتى كشف الله إليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها، واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والإدغام، وغير ذلك من الوجوه النحوية مما قام عليه برهان الحق، وعضده سلطان الصدق على يدي أبي زكريا يحيى بن داود الفاسي المنبوز بحيوج وشيعته رحمهم الله، ما قبلته العقول بسرعة، وفهمت منه ما جهلت قبل، وتحركت أيضا همم قليل منهم لطلب العلوم النظرية، واكتساب المعارف العقلية، ولم تقوَ عارضتهم في المقال، وتدربوا في صناعة الشعر، وتفطنوا لحلاوته، واستيقظوا لنوادره إلا في بعض المائة السابعة بعد أربعة آلاف للخليقة، وهو أول ظهور أبي يوسف حسداي بن إسحاق بن شبروط الجياني القدمة القرطبي الرئاسة ... فعندئذ ثابت الهمم من غفلتها، واستيقظت الفطن من نومتها"[35]. كما تحدث أيضا عن فضل اللغة العربية على الشعراء اليهود حيث جعل إتقان معرفتها سببا من أسباب المهارة في الشعر العبري، فقد أشار إلى أن من بين الشعراء اليهود الذين عاشوا في الأندلس إسحاق بن جقطيلة، وإسحاق بن شاؤول الأليسانيان، ووصفهما بأنهما فرسا رهان، ثم أضاف : "إلا أن ابن جقطيلة كان منهما السابق لوفور حظه من العربية"[36]. وقال عن الشاعر موسى بن جبيرول إنه : "صانع مجيد ومؤلف بليغ، تمكن من الغرض الشعري فأصاب منه الهدف ... وسلك في القول مسلكا دقيقا، وتشبَّه فيه بالمتأخرين من شعراء المسلمين، حتى دعي بفارس الكلام وجهبذ النظام ...

(35) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 73 - 74. وانظر : طبقات الأمم، ص 155 - 156، 203 - 204. أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965، ص، 498.

(36) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 73، 75، 76 - 77. وانظر أيضا : الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 155.

وهو أول من فتح للشعراء من اليهود باب البديع. ومن جاء بعده في سبيله نهج، وعلى منواله نسج" [37]. وقد قال ابن عزرا عن أخيه الأكبر إسحاق المكنى بأبي إبراهيم : "ومن أهل القول الرصين والشعر المبين، أبو إبراهيم أخي وكبيري، كان رحمه الله استعان على لطف المقال وعذوبة الشعر بفساحة باعه في العربية" [38]. بل إن ابن عزرا عزا ضعف شعر أستاذه إسحاق بن غياث إلى فقره من علم العربية حيث قال : "إسحاق بن غياث اليساني مدينة الشعر يدخل إليها ويخرج عنها ينبوع البلاغة ... مالك عنان القول العبراني، وفارس ميدان اللسان السرياني ... أربى على كل من تقدمه من أمور الزهد والصلوات والندب والمرثيات، وكان دون ذلك في الشعر الموزون لفقره من علم العربية، فكان جزل الألفاظ، قليل المعاني" [39].

وفي المقدمة التي وضعها ابن عزرا لكتاب المحاضرة والمذاكرة أشار إلى اعتماده الكبير في تأليف هذا الكتاب على المؤلفين العرب حيث أنهم قد أشبعوا موضوع النثر والنظم بحثا، يقول :

"حبَّرْتُ ما سألته مني كلاما موجزا، فإنها مقالة لا تحتمل الإطالة ... فقد فَرَشَ في أكثرفصول هذا الشأن أعلامُ البيان من الإسلام، وهم أحق بالكلام في النثر والنظام، كُتُبًا جمة مثل كتاب ابن قدامة (هكذا) في النقد، والبديع لابن المعتز، وحلية المحاضرة للحاتمي، والحالي والعاطل له، والعمدة لابن رشيق، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وغيرهم. وأما ما اندرج من ذلك في خلال تآليفهم الغير مخصوصة (هكذا) بهذا الشأن

(37) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 85 - 86. وانظر : الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 86 - 94 . الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 158 - 160. طبقات الأمم، ص، 205.

(38) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 89.

(39) المصدر نفسه، ص، 87. وانظر : الأثر العربي في الشعر العبري، ص، 154.

فقط فهو كثير لا يحصى" [40]. كما أنه قد أشار إلى أن غرضه من تأليف كتابه هو أن يعرض على من ألف الكتاب من أجله المماثلةَ بين الاستعمالات في اللغتين العبرانية والعربية، والموازنةَ بينهما في أكثر الوجوه، وبيان أن الأولى منهما تابعة للثانية وآخذةٌ منها في الشعر خاصة [41]. وقد أكد موسى بن عزرا تبعية اليهود للعرب في الشعر بعبارة لا لبس فيها حيث قال : "كما نحن في الشعر خاصة تابعة العرب وجب علينا أن نقتفي أثرهم ما استطعنا عليه" [42]. وقال في موطن آخر : "وإذ قد قدمت أن الشعر هو علم العرب، وأن اليهود تابعة لهم في هذه الصناعة، فلست أسوغ قول من أنكر مراعاة هذه الوجوه من فصول البديع، وقال بِقِلَّة الاضطرار إلى امتثالها بحسب الوجود والطاقة، إذ العرب اصطلحت عليها وجعلتها كالآلات لكلامها ... فوجودها (هكذا) في شعرهم صارت عندهم ذوات أذواق، وبِعَدَمِها صارت تفهة مسخة ... وعلينا أن نُجْمِعَ معهم عليها بحسب وجودها وطاقتنا" [43].

وقد اعتمد موسى بن عزرا في تأليف كتابه على التراث العربي شعرا ونثرا، وقد استشهد كثيرا بآيات من القرآن الكريم، وهو يسميه في معظم الأحيان "قرآن العرب" [44]. وفي بعض الأحيان يورد آية منه ويقدم لها بقوله : "وعند العرب" [45]، أو "وفي قرآنها"، [46] أو يقول :

(40) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 39.

(41) المصدر نفسه، ص، 39 - 40. وانظر ايضا : أحمد شحلان" من الأدب العربي - العبري..."، ص، 71 - 72.

(42) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 143.

(43) المصدر نفسه، ص، 187 - 188.

(44) المصدر نفسه، ص، 39، 100، 112، 115، 168، 178، 184، 191، 207.

(45) المصدر نفسه، ص، 105.

(46) المصدر نفسه، ص، 252.

"وقال بعض العلماء". [47] أو "وقال غيرنا". [48] وقد صرح موسى بن عزرا بأنه لا يتحرج من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم رغم ما يظهره بعض فقهاء ملته المعاصرين له من كراهية لذلك، وحجته في ذلك أن مشاهير فقهاء اليهود وعظماء المتكلمين منهم يستشهدون به في دراساتهم. يقول : "وبعد ذكر قرآن العرب لم أستشعر التقطب... الذي انتحله أهل الرياء من فقهاء ملتنا في زماننا، إذ رأيت رؤساء المتفقهين وعظماء المتكلمين رابي سعدية، ورابي هاي وغيرهما من المتكلمين يستشهد به مستعينين على فك المعتاص من النبوات، نعم وبشروح النصارى على ضعفها. غير أن هذه الطبقة المذكورة اليوم تذكي سمعها، وتحدق بصرها إلى دقائق الناس، وتتعامى عن كبائر ذاتها" [49].

ويستشهد ابن عزرا أيضا ببعض الأحاديث النبوية لكنه لا ينسبها إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وإنما يقدم لها بقوله : "وقال

(47) المصدر نفسه، ص. 168.

(48) المصدر نفسه، ص. 171.

(49) المصدر نفسه، ص. 191. يبدو أن هناك فئة من متديني اليهود كانت تلوم بعض علمائهم على استشهادهم في أمور تخص اللغة العبرية بما هو موجود في العربية. فإن النحوي الشهير أبا الوليد مروان بن جناح صاحب "كتاب اللمع" قد قال في مقدمة هذا الكتاب : "وما لم أجد عليه شاهدا مما ذكرته ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي لم أتحرج من الاستشهاد بواضحه، كما يتحرج من ضعف علمه وقل تمييزه من أهل زماننا لاسيما من استشعر منهم التقشف، وارتدى بالتدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور. وقد رأيت سعديا يترجم اللفظة الغريبة بما يجانسها من اللفظة العربية. وقد رأيت الأوائل وهم القدوة في كل شيء يستشهدون على شرح غريب لغتنا بما جانسه من غيرها من اللغات فتراهم يفسرون كتاب الله من اللسان اليوناني، والفارسي، والعربي، والأفريقي، وغيرها من الألسن، فلما رأينا هذا منهم لم نتحرج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقا ومجانسا له من اللسان العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبها بلساننا "انظر في هذا : الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص، 27 - 28، 38، 40.، وانظر : طبقات الأمم، ص، 38. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص، 498.

حكيم"، [50] أو "وقال بعض الفقهاء"، [51] أو "وقال بعض أهل العلم"، [52] أو "وقال أحد العظماء" [53]، أو "وقال بعضهم" [54].

النقد والبلاغة :

اعتمد ابن عزرا في تأسيسه للنقد والبلاغة في اللغة العبرية - كما سنرى - على التراث العربي في النقد والبلاغة. وتطالع قارئ كتابه اقتباسات كثيرة من أقوال الجاحظ، وابن قتيبة، وابن المعتز، وابن طباطبا، وقدامة بن جعفر، والحاتمي، وابن رشيق، وابن عبد ربه، وغيرهم. وقد صرح ابن عزرا - كما سبق أن ذكرنا - بأن أعلام البيان المسلمين هم الذين يرجع إليهم في أمور النظم والنثر، وقد عدَّدَ بعض أسماء المشاهير منهم [55].

1 - القضايا النقدية :

القضايا النقدية التي تعرض إليها موسى بن عزرا في كتاب المحاضرة والمذاكرة هي القضايا الرئيسة التي تناولها النقاد العرب لكن ابن عزرا لم يتحدث عنها بالتفصيل الذي تحدث به أولئك النقاد. ولم يبح ابن عزرا لنفسه في هذا الكتاب أن ينقد الشعراء اليهود، وأن يميز الجيد من الرديء من أقوالهم رغم إحساسه بأهمية النقد، وحجته في ذلك أنه ألّف هذا الكتاب إجابة على أسئلة محددة وُجِّهت إليه فهو مقيد بتلك الأسئلة ولا يريد أن يخرج عنها، لكنه بالرغم من ذلك قد تطرق في أثناء إجابته إلى

(50) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 155.

(51) المصدر نفسه، ص. 166.

(52) المصدر نفسه، ص. 173.

(53) المصدر نفسه، ص. 220.

(54) المصدر نفسه، ص. 253.

(55) المصدر نفسه، ص. 39. وانظر أيضا : الأثر العربي في الشعر العبري، ص. 37 . أحمد شحلان، "من الأدب العربي - العبري ... " ص. 71 - 72.

بعض القضايا النقدية الهامة. يقول موسى بن عزرا معقبا على بعض الذين نقدوا شعر ابن جبيرول : "وقد تتبع الناقدون قوله فسقطوا له على سقطات قليلة. بل العالم يبسط فيها عذر الفتوة وعماية الصبا. ولم يكن بي إلى زَطّ (هكذا) ذلك حاجة ماسة. ولا إلى تقييده ضرورة حافزة. فلم أقصد في هذه المقالة الغضّ من المتقدمين وتشويه أقوالهم. والتعريض بهفواتهم، ولا التمييز بين الطيب والخبيث من أشعارهم، وإنما قصدت جلب محاسنهم والإغضاء عن سهوهم، إلا إذا كانت الإشارة ضرورية لم يكن عنها بدٌّ في مساق الكلام ... وإن كان علم انقياد (هكذا) الكلام من أعظم علوم الشعر، وأجزل فوائد المنطق، فقد قيل : انتقاد الكلام أعظم من قوله، وقد دعت الضرورة إلى جلب بعض ذلك ... والدلالة عليه في المقالة المسماة الحديقة في معاني المجاز والحقيقة" (56). وفي أثناء حديث المؤلف عن الناجيد صمويل بن النغرلة نجده يصرح بالتزامه بخطته في الكتاب وتصميمه على عدم الاستطراد حيث يقول : "ولمّا لَمْ أقصد في هذه المقالة غير ذكر ما سألتني فيه من غرض الشعر أمسكت عن وصف جلاله، وشفوفه في المعاني وكماله" (57).

الشعر إذا هو الموضوع الذي استأثر بجل اهتمام موسى بن عزرا، فهو نفسه شاعر متميز، وهو أيضا ناقد للشعر. وقد اشتكى ابن عزرا بمرارة وحرقة، شأنه شأن بعض أدباء العرب قبله، من كساد سوق الأدب في عصره، وسوء ظن الناس بأهله، ومن غلبة الجهل، وكثرة الجهال (58). كما أنه قد اشتكى، مثلما اشتكى نقاد العرب قبله أيضا، من كثرة الدخلاء على ميدان الشعر ممن يظنون أن الشعر هو كل كلام موزون مقفى، ويصف هؤلاء الدخلاء بأنهم جهلاء، غلب عليهم التسرع، وحب الظهور،

(56) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 86 - 87.

(57) المصدر نفسه، ص، 78، 80، 93.

(58) المصدر نفسه، ص، 99 - 100.

وسلطان الهوى، فهم لم يتدربوا على قول الشعر، ولم يرجعوا فيه إلى أهل الاختصاص، وإنما انساقوا وراء أهوائهم وجهالاتهم "فجاء كلامهم فاتر المزاج، غير قويم المنهاج، ولا متناسب القسمة، فمنه مايغيض سامعه وينكي، ومنه مالا يضحك ولا يبكي" [59]. وأشار ابن عزرا إلى وجود فئة من شعراء اليهود وصفها بأنها سفيهة عباثة قال إنها : "دنست كتاب الله المقدس بأشتام (هكذا) الناس، وكشف عوراتهم بزعمهم، ولوثت آياته في ذم الأبرياء وذكر سيئاتهم بظنهم، فهو كلام يحرم للذكر (هكذا) بل يَلزمُ الطُّهرُمنه، فقد سَمِعَ بعضُ الأفاضل سفيها يُسافِه رجلا مصونا فقال له : أعِد الوضوءَ فبعض ما كنت فيه أشدُّ من الحدث" [60].

ويقدم ابن عزرا نصائح قيمة للشاعر الذي يرغب في أن يأتي شعره سلسا خاليا من العيوب، فهو يدعوه إلى أن يختار كلماته جيدا، وإلى أن يتخذ من أذنه معيارا لذلك الاختيار فما قبلته الأذن أبقاه وما رفضته تركه ؛ لأنه "بالأذن يذاق الكلام، والأذنان باب العقل، فكم من شعر صحيح القافية، دائم العروض، سالم الروي، مضبوط التصريف، جائز في اللغة التي هو منها إذا ذاقته الأذن ... لم تقبله قبول رضى، ولا اختزنته عند القوة الذكرية اختزان الذخائر" [61]. ويحث الشاعر على أن يتجنب الكلمات الوحشية والغريبة، والكلمات المتقاربة المخارج، والكلمات المتنافرة،

(59) المصدر نفسه، ص، 93 - 94. وانظر ما قيل في الشعر الرديء عند العرب، وفي الدخلاء على فن الشعر : محمد بن عمران المرزباني، الموشح : مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر ، 1965، ص 547 - 553 أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الرابعة، 1972، ج، 2، ص، 238 - 239.

(60) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 96.

(61) المصدر نفسه، ص، 131. وانظر : سر الفصاحة، ص، 55، 57. محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، كتاب عيار الشعر، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1985/1405، ص، 202.

كما يحثه على البعد عن التعقيد،[62] وعلى العناية بالقافية : لأن القافية القلقة قد تفسد القصيدة كلها[63]. ويحض الشاعر أيضا عليتوخي حسن الانتقال من غرض إلى غرض بحيث يأتي الانتقال سلسا مناسبا. يقول : "وإذا شبّبْت قصيدة بوجه من وجوه التشبيب فاخرج إلى غرضك من مدح أو ذم خروجا لا يبدو فيه الانفصال. فقد قيل : إن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال أعضائه ببعض، فمتى انفصل الواحد من الآخر غادر الجسم علة تذهب بمحاسنه. وقال غيره : القصيدة محتاجة أن تكون كالرسالة التي أغراضها متسقة. فإذا تحفظت من مثل هذا وشبهه تناسبت صدورُ قصائدك وأعجازُها، وارتبطت تشبيهاتها بأغراضها وهذا هو معنى التخلص الواقع في وجوه البديع ... ولتكن مباديءُ كلماتك في جزالة اللفظ متشابهة بأواخرها، وإن أمكن أن تكون الأواخر أوثقَ كان بها أليق، فمدار الأمور على عواقبها. وإذا برز لك البيت العجيب، أو سنح المعنى الغريب، فتحيَّل له في أخ يماثله، أو صبو (هكذا) يعادله ويشاكله لئلا يقال اتفاق وقع بغير رام (هكذا)، أو هي رمية من غير رام. وقد قال أحدهم فاخرا على صاحبه : أنا أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه. وقال غيره : أنا أقول في كل ساعة قصيدة وأنت تقولها في كل

---

(62) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 138 - 139، 142. وقارن ما ذكره ابن عزرا هنا بما ورد في البيان والتبيين، ج، 1، 136 - 137، 144، 255. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، لم تذكر دار النشر، الطبعة الثالثة، 1398/1978، ص، 172- 173. سر الفصاحة، ص، 54، 56 - 62.

(63) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 156. وانظر : البيان والتبيين، ج، 1، ص، 112. سر الفصاحة، ص، 62، 101 - 102.

شهر، فأجابه : أنا لا أطيع شيطاني كما تطيع شيطانك" [64]. ويدعو الشاعر إلى التأني قبل إخراج شعره، وإلى أن يعيد فيه النظر بعد النظر، وأن يعرضه قبل إخراجه على صديق ناصح يصدقه القول فيه. ويستشهد ابن عزرا في هذا المجال بقول الحطيئة : خير الشعر الحولي المنقح، ويضيف أن المذَهَّبات الكبار تسمى الحوليات [65]. ويحث الشاعر أيضا على التواضع وإلى أن يبتعد عن الإعجاب بنفسه وبشعره [66]. وجميع هذه الأقوال والنصائح سبق أن أوردها النقاد العرب القدماء أمثال الجاحظ، وابن قتيبة، وابن طباطبا، والحاتمي، وابن سنان الخفاجي، والمرزباني. ولا شك أن ابن عزرا قد استفادها منهم كما توضح ذلك الإحالات في هوامش هذا البحث.

---

(64) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 157. وقارن ما أورده ابن عزرا هنا بما ورد في : البيان والتبيين، ج، 1، ص، 112، 205 - 207، 228. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1966، ج، 1، ص، 76، 90. عيار الشعر، ص، 8 - 9، 184، 187، 209، 213. القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1966م، ص، 48. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق، علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، 1971، ص، 147 - 148، 455، 474 - 475. العمدة، ج، 1، ص، 217، 234، 239 ،. ج، 2، ص، 117، 123.

وبالنسبة لما ذكره ابن عزرا هنا من أن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال أعضائه ببعض، انظر ما قاله الحاتمي عن هذا الموضوع عند إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق، علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1953/1372، ج، 2، ص، 597. العمدة، ج، 2، ص، 117.

(65) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 158 - 159. وانظر ما ورد في البيان والتبيين، ج 1، ص، 204. ج، 2، ص، 9، 13. الشعر والشعراء، ج، 1، ص، 78. العمدة، ج، 1، ص، 96، 201.

(66) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 158. وانظر : البيان والتبيين ،ج، 1، ص، - 203 204. العمدة، ج، 1، ص، 201 - 202.

وقد أشار ابن عزرا إلى اختلاف حالات الشاعر في قول الشعر فقد يسهل عليه القول في زمن ويتعذر عليه في آخر. ثم أضاف بأنه "إذا اشتغل البال لم يتأت المقال"، واستشهد على ذلك بقول عبيد بن الأبرص: "حال الجريض دون القريض"، وبقول الفرزدق: "أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت علي ساعة وقلع ضرس أهون علي من أن أقول بيتا واحدا" [67].

وتحدث ابن عزرا عن الطريقة التي يمكن للإنسان أن يعرف بها مدى قبول الناس لكلامه، وما إذا كان حسنا أم غير حسن، ودعا الشاعر إلى أن لا يغترّ برأيه في شعره، ولا برأي صديقه المعجب به؛ لأن حبه إياه قد يعميه عن مساوئه "فإذا كان ذلك كذلك فأدخِلْ قولَك في عرضة جيدة من الأقوال حتى ترى قدر الإنصات إليه والفرح به، أو الكسل عن سمعه، واجعل رأيك الذي لا يخطئك، ودليلك الذي لا يكذبك حرص السامعين عليه، وصغيهم إليه ... فإن ظهر لك من السامع فترة في الإصغاء، وذلك لا يكون مع طيب القول إلا من جهل أو حسد، فأمسك عنه؛ فقد قال بعض الحكماء: من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع. وقد ذُكِر في بعض الأخبار أن بعض أغفال الشعراء سأل صدرا من صدورهم قائلا: لِمَ لا تقول من الشعر ما يفهم؟ فأجابه: لِمَ لا تفهم من الشعر ما نقول؟ فقطعه" [68]. وواضح أن هذه الطريقة هي التي سبق أن نادى بها الجاحظ في البيان والتبيين حيث قال مخاطبا المنشيء شاعرا كان أم كاتبا: "فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة، وتُنسَب إلى هذا

(67) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 139. وانظر: البيان والتبيين، ج. 1، ص. 209. الشعر والشعراء، ج. 1، ص. 81. العمدة، ج. 1، ص. 194، 204.

(68) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 159، 162، 164 - 165. وانظر: البيان والتبيين، ج. 1، ص. 105، 203 - 204. الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1392/1972م، ج. 1، ص. 20 - 21 . ج. 2، ص. 18 - 19. الموشح، ص. 499 - 500. العمدة، ج. 1، ص. 133.

الأدب، فقرضت قصيدة، أو حبَّرت خطبة، أو ألّفت رسالة، فإياك أن تدعوك الثقة بنفسك، أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ؛ ولكن اعرضه على العلماء في عُرْض رسائلَ أو أشعارٍ أو خُطَب ؛ فإن رأيت الأسماعَ تصغي إليه، والعيونَ تَحْدِج إليه، ورأيتَ مَنْ يطلبه ويستحسنه، فانتحله. فإن كان ذلك في ابتداء أمرك، وفي أوّل تكلفك، فلم تر له طالبا ولا مُستحسِنا، فلعله أن يكون ما دام ريِّضا قضيبا، أن يحلَّ عندهم محلَّ المتروك. فإذا عاودت أمثال ذلك مرارا، فوجدت الأسماعَ عنه منصرفة، والقلوبَ لاهية، فخُذْ في غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذي لا يَكْذِبُك حِرصَهم عليه، أو زُهْدَهم فيه ... فلا تَثِق في كلامك برأي نفسك ؛ فإني ربما رأيتُ الرَّجُلَ متماسكا وفوق المتماسك، حتى إذا صار إلى رأيه في شِعره، وفي كلامه، وفي ابنه، رأيته متهافتا وفوق المتهافت" [69].

وقد تحدث ابن عزرا باختصار عن بعض القضايا النقدية الكبرى التي شغل بها النقاد العرب ومن ذلك قضية اللفظ والمعنى، فقد حَثَّ الشاعر على أن يخيط ألفاظه على قُدُود معانيه "فاللفظة آلة المعنى، وعلى المعنى تقع المخاطبة. فكل كلام لا يحمل معنى فهو فارغ، وقد قيل المعنى روح واللفظ بدن المعنى"، [70] ثم أضاف بأن اللفظ ينبغي أن يكون بسيطا "غير مضطر إلى تأويل، ومعناه غير مفتقر إلى دليل ... وقد سئل من أشعر الناس ؟ فكان الجواب : أسلمهم لفظا، وأحسنهم بديهة. وقيل : خير

(69) البيان والتبيين، ج، 1، ص، 203 - 204.

(70) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 131 - 132. وقارن مع البيان والتبيين، ج، 1، ص، 254. رسائل الجاحظ، ج، 1، ص، 262. عيار الشعر، ص، 203. العمدة، ج، 1، ص، 124، 128. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1404/1984م، ص، 52، 54، 372 - 373، 417.

الكلام ما قلّ، وجلّ، ولم يمل. وقيل : خير القول ما دخل على الأذن بغير إذن" [71].

وتحدث كذلك عن قضية الطبع والتكلف فذكر أن التطبع ليس كالطبع، وأن التكحل في العين ليس كالكحل، وحثّ من ألف له الكتاب على أن يسير مع طبعه ولا يتكلف الشعر إذا لم يكن له طبع فيه. فالإنسان لا يعاب بأنه لا يقول الشعر ولكنه يعاب إذا قال شعرا رديئا ثم أردف قائلا : "أما ترى أن في أعلام الإسلام مثل ابن المقفع الخطيب، وعبد الحميد، والأصمعي، والجاحظ وغيرهم، وهم عُمَدُ البلاغة، وأساتذة الخطابة، وما وقع بطبع أحدهم نظم كلمتين. وفي ملتنا بالأندلس أبو الوليد ابن جناح، وأبو إسحاق بن سقطار المنبوز بابن يشوش، وهما شيخا العبرانية على الإطلاق، لم يسمع لهما بيت موزون" [72]، ثم استشهد بقول ابن المقفع وقد سئل لِمَ لا تقول الشعر ؟ فأجاب : الذي أرضاه لا يجيئني، والذي يجيئني لا أرضاه، وبقول منسوب إلى أحد النقاد وقد سئل عن مثل ذلك فقال : "أنا كالمِسَنِّ أشحذ ولا أقطع. وقال : رأس الكلام الطبع، وعموده الدربة،

(71) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 138 - 139. وانظر : البيان والتبيين، ج، 1، ص، 101. وقد ورد في كتاب العمدة ج، 1، ص، 242 "سئل بعض الأعراب من أبلغ الناس ؟ فقال : أسهلهم لفظا، وأحسنهم بديهة". وورد في الصفحة 246 من الكتاب نفسه، قال بعضهم : "خير الكلام ما قلّ، ودلّ، وجلّ، ولم يمل". وانظر أيضا : ج، 1، ص، 249. الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص، 24 - 25 . دلائل الإعجاز، ص، 267.

(72) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 128. وانظر : البيان والتبيين، ج، 1، ص، 138، 208 . ج، 2 ، ص، 13 - 14، 17 - 18. عيار الشعر، ص، 14. سر الفصاحة، ص، 282. وانظر أيضا : طبقات الأمم، ص، 204 - 205.

وجناحه الرواية، وحليه الإعراب". [73] وقد ذكر ابن عزرا أن الفيلسوف، وهو يعني أرسطو، قد أحصى "المعاني التي بها يفضل الشعر ويحسن، في الثامن من كتبه المنطقية، فوجدها ثمانية، وهي : جزالة اللفظ، وعذابة المعنى، وانطواء كثير من المعنى في قليل من اللفظ، وحسن التشبيه، وجودة الاستعارة، وشدة الالتئام، وتسبيق (هكذا) الأعجاز والصدور، واستقصاء المعاني. وقال : ثلاث خصال يبلغ بها الشاعر إلى حاجته وهي : إيجاز اللفظ، وحسن التشبيه، وإصابة المعاني" [74]. ثم أضاف ابن عزرا أن العرب قد "فرّعته إلى أكثر من هذا العدد مرارا، ودققت النظر في ذلك كثيرا" [75]. والمعاني الثمانية التي ذكر ابن عزرا أن الفيلسوف قد أحصاها هي ما يعرف عند العرب بعناصر عمود الشعر. والمعروف عند النقاد العرب أن أول من بحثها هو الآمدي، ثم القاضي الجرجاني، ثم أضاف إليها المرزوقي بعض العناصر وشرحها في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام [76].

---

(73) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 128 - 129. وانظر : البيان والتبيين، ج، 1، ص، 208، 210. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1969/1388، ج، 3، ص، 132. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه، أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1389/ 1969، ج، 2، ص، 268، 274. وقد ذكر الجاحظ أن قائلا قال لديسيموس اليوناني الموسوس : "ما بال ديسيموس يعلّم الناس الشعر ولا يستطيع قوله ؟ قال : مثله مثل المِسَنّ الذي يشحذ ولا يقطع" انظر : البيان والتبيين، ج، 2، ص، 226. وكتاب الحيوان، ج، 1، ص، 290. وقد نسب ابن عبد ربه هذا القول إلى الخليل بن أحمد فقد ذكر أنه "قيل للخليل بن أحمد : مالك تروي الشعر ولا تقوله ؟ قال : لأني كالمِسَنّ أشحذ ولا أقطع "انظر : العقد الفريد، ج، 2، ص، 268.

(74) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 130.

(75) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(76) انظر : د . إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1978/1389، ص، 160 - 162، 321 - 323، 398 - 410.

وتحدث أيضا عن الأخذ والسرقة فحث الشاعر الذي يريد أن يأخذ معنى قد سُبِقَ إليه أن يتلطف في أخذه فيزيد عليه زيادة لا تخل بمعناه، أو ينقص منه نقصانا لا يهجنه، وقال إن "حَدّ الزيادة هو التطفيف على الواجب، وحدّ النقصان هو التقصير عن الواجب، فالواجب إذا هو الكمال" [77]. وقد أورد في هذا الموضع رأي الجاحظ في السرقة، ووصف الجاحظ بأنه زعيم المتكلمين فقال : "قال الجاحظ، وهو زعيم المتكلمين : لا أعلم شاعرا تقدم في تشبيه مصيب أو معنى غريب، أو قول مخترع إلا ومن بعده من الشعراء قد انتحله أو بعضه. نعم إن خالف اللفظ أو العروض لم يكن المتقدم أحقّ به من المتأخر" [78]. ولم يورد ابن عزرا كلام الجاحظ بدقة، وإنما تصرف فيه [79].

وقد أوصى الشاعر الذي يريد أن يحوِّلَ معنى من العربية إلى العبرية أن يأخذ المعنى ويلتمس له ألفاظا مناسبة من اللغة العبرية لا أن يترجمه لفظة بلفظة "فليس جميع اللغات متشابهة ... وإن لم يتأت على اختيارك فتبرأ منه، فرُبَّ سكوت أفضل من مقال، ومن تكلم فأحسن قد يسكت ويحسن، وليس ينعكس" [80].

وقد تحدث عن الغلو والمبالغة في الشعر، وعن الصدق والكذب فيه فاعتمد في ذلك على آراء النقاد العرب أمثال قدامة بن جعفر، والحاتمي، والفارابي، وابن رشيق، وابن سنان الخفاجي، كما اعتمد على رأي أرسطو في هذا الموضوع. ففي أثناء حديث موسى بن عزرا عن شعره، وعن بعض منتقديه قدم تعليلا لما اشتمل عليه بعض شعره من مبالغة في مدح،

---

(77) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 153 - 154. وقارن مع عيار الشعر، ص، 14، 126- 127.

(78) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 154.

(79) قارن ما أورده ابن عزرا آنفا مع كلام الجاحظ في كتاب الحيوان، ج، 3، ص، 311.

(80) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 154. وانظر نماذج من الأخذ في الصفحات، 153، 244، 247، 250.

أو ذم، أو فخر فقال : "إنما سلكت في ذلك سبيل المتقدمين، واتبعت في الملتين رأي المتكلمين في الغلو والإطناب، وزخرف القول والإسهاب. فالتعمق في صنعة الشعر هو الغاية من العلماء بهذا الشأن. فمنهم من عاب أبيات الإغراق، ومنهم من استحسنها وهم الجم الغفير، وأوجبوا الفضيلة لمبدعها وقالوا : إنما يراد بالإغراق المبالغة، وزادوا أن الشاعر متى أوغل بما يخرج عن الموجود، ويدخل في باب المعدوم إنما يريد به المثَل وبلوغ الغاية في النعت، وإن كان قد قيل : من البرهان الأكبر الإخبار بما تقبله العقول. وقيل : خير القول أصدقه، فهو قول صحيح لكنه ليس يصحب الشعر، فقد قيل : أطيب الشعر أكذبه. وسئل عن الشعر فكان الجواب : ناهيك بقوم لا يستحسن الكذب إلا منهم. وقيل : الصدق والكذب في الأقاويل، والصواب والخطأ في الضمائر، والخير والشر في الأفعال، والحق والباطل في الأحكام، والنفع والضر في الأشياء المحسوسة. وفي قرآن العرب : والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون. ولو عَرِيَ الشعر من كذب لم يكن شعرا، وإن لم يصح عند التأمل" [81]. ثم أورد ابن عزرا قسمة أرسطوطاليس للكلام من ناحية الحق والباطل فذكر أن أرسطو قد قال : "الكلام منه حق وباطل، ومنه متوسط بين الحق والباطل. فالحق هو البرهان وكل شيء يجري مجرى البرهان. والباطل هو كلام الشعراء على طريقتهم، لا نفس كلامهم. وأما المتوسط بين الحق والباطل فمنه ما

(81) المصدر نفسه، ص، 114 - 115. وواضح تأثر ابن عزرا الصريح بما أورده النقاد العرب الذين أشرت إليهم. انظر مثلا : نقد الشعر، ص، 58 - 64. محمد بن الحسن الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، 1979، ج، 1، ص، 195. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج، 1، ص، 428، ج، 2، ص، 58. العمدة، ج، 1، ص، 22، 25، ، 31. ج، 2، ص، 53 - 55، 61 - 62. سر الفصاحة، ص، 263 - 265. عبد القاهر الجرجاني، كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني، الطبعة الأولى، 1412/1991م، 271 272.

حقه أكثر من باطله مثل كلام المجادلين. ومنه ما باطله أكثر من حقه مثل كلام السفسطانيين. ومنه ما حقه مساوٍ لباطله مثل كلام البلغاء والخطباء"[82]. ثم أضاف ابن عزرا أن الشاعر إذا مدح فقال : إن وجه الممدوح أقوى إنارة من الشمس، وأن يده أسقى من الغيث، أو قال : إنه أشجع من الليث. وأن صدره أوسع من البحر فكل ذلك كذب في صورة الحق، تدفع إليه ضرورة الكلام[83]، ثم شفع هذا القول بكلام نسبه إلى الفارابي في كتابه "إحصاء العلوم" حول التخييل والمحاكاة وعلق عليه قائلا : "وقد اختصر بعض العلماء هذا القول وأخذ عينه وقال : إن الشاعر كالمُصَوِّرِ الصورة المتقنة، الرائعة للعين ولا حقيقة لها، وهذا في غاية الإقناع"[84].

2 - البلاغة :

عرف ابن عزرا البلاغة بعدة تعريفات معظمها مأخوذ مما أورده الجاحظ، وابن رشيق، وابن عبد ربه. فقد قال : "البلاغة إقلال في إيجاز، وصواب مع سرعة جواب. وقيل : البلاغة هي المعنى الصحيح في اللفظ الفصيح. وقيل : البلاغة ألا تخطىء ولا تبطىء. وقيل : البلاغة هي التعريف بمواضع المقاصد بألفاظ مفهومة. قال أرسطاطاليس : العلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة التمامية. قال الجاحظ : صنعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين، وهو العيار على كل صنعة، والزمام على كل عبارة ... وكل علم عليه عيال، وكل تحصيل آلة ومثال"[85].

(82) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 115 - 116.

(83) المصدر نفسه، ص، 116. وانظر : كتاب أسرار البلاغة، ص، 263، 267 - 271.

(84) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 116.

(85) المصدر نفسه، ص، 134 - 135. وانظر : العقد الفريد، ج، 2، 260 - 263. العمدة، ج، 1 ص، 241 - 250. سر الفصاحة، ص، 50. وانظر بشأن العلل الأربع التي تحدث عنها أرسطو : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج، 1، ص، 426 - 427.

وقد أورد ابن عزرا في آخر كتابه "عشرين فصلا من فصول البديع في محاسن الشعر" خصص كل فصل منها للحديث عن نوع من أنواع البديع، وقال إن هذه الأنواع "بعض ما صنفته الطبقة العالية، وفرسان الكلام، وأمراء النثر والنظام من الإسلام" [86]. وقد أضاف أن إيراد هذه الأنواع البديعية هو الغاية التي من أجلها ألف الكتاب وأن ما سبقها من موضوعات إنما هو تمهيد لها [87]. والأنواع البديعية التي أوردها هي التي وُجِدَت لها نماذج في اللغة العبرية. أما ماعداها من أغراض بلاغية أخرى موجودة لدى العرب فقد قال إنها "مما لا يدرك عندنا، ولا يلحق في لغتنا" [88]. وقد صرح بالطريقة التي سيتبعها في عرض هذه الأنواع البديعية، والسبب الذي دعاه إلى إيرادها فقال : سأورد في كل نوع من هذه الأنواع "مثالا واحدا من أبيات الشعر العربي، وأحذو عليه ما أجده في النصوص المكرمة ؛ لئلا تشرد ويُظَن أنَّا مقصرون أيضا عنهم كلَّ التقصير، وأن لغة العرب انفردت بهذه الملح ... وأن لغتنا خلية منها. وإن لم تكن نفسها في بعض الكلام ففيها إشارات دالة يقتدى بها إلى أكثر منها ... ثم أُحْضِر ما يتيسر لذكري من كلام شعراء ملتنا في هذه الأبواب، إما أن أحذو في ذلك الطريقة من الإسلام بعد وجود ذلك في النصوص، ... وما لم أجده تركت الباب خلوا حتى يقع إليك فتلحقه ..." . [89] وقد ذكر ابن عزرا أنه لا يتفق مع من لا يرى مراعاة هذه الأنواع البديعية بحجة عدم الحاجة إليها ؛ لأن العرب كما يقول : قد "اصطلحت عليها، وقد جعلتها كالآلات لكلامها والمتاع لقريضها ... وعلينا أن نجمع معهم عليها بحسب وجودها وطاقتنا ... وهذه الأبواب المقيدة، وشبيهها مما لا أقيده لعدمها في العبرانية، هي

(86) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 186.

(87) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(88) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(89) المصدر نفسه، ص. 186 - 187.

أمتعة الشعر، وآلاته، وأعوانه على الرقة، وأدواته على لطف القول حسبما يبدو إلى أهل الفهم" [90].

والأنواع البديعية التي تحدث هي :

1 - الاستعارة، 2 - الوحي والإشارة، 3 - المطابقة، 4 - المجانسة، 5 - التقسيم، 6 - المقابلة، 7 - التسهيم، 8 - الترديد، 9 - التصدير، 10 - التبليغ، 11 - التتميم، 12 - الاعتراض، 13 - التشبيه، 14 - حشو البيت لإقامة الوزن، 15 - الاستثناء، 16 - الغلو، 17 - التتبيع، 18 - حسن الابتداء، 19 - حسن التخلص، 20 - الاستطراد [91].

وابن عزرا يَعني بالبديع ما نعنيه الآن بالبلاغة عامة ولا يعني به فقط ما هو معروف الآن بعلم البديع، فهو كما أوردنا أعلاه قد تحدث عن الاستعارة والتشبيه وهما من أهم موضوعات علم البيان. فالبلاغة في عصر ابن عزرا لم تتجزأ بعد إلى أقسامها الثلاثة المعروفة عند المتأخرين. وهو قد سار على النهج الذي سار عليه ابن المعتز في كتاب البديع. فابن المعتز قد تحدث عما عُرِفَ في عصره من أغراض بلاغية باسم البديع، وكان من بين ماتحدث عنه تحت هذا المسمى الاستعارة، والتعريض والكناية، وحسن التشبيه [92].

ولا يتسع المقام في هذا البحث للحديث بالتفصيل عما أورده ابن عزرا في هذه الفصول العشرين، ولذلك فإننا سنكتفي بإيراد بعض

(90) المصدر نفسه، ص. 188. ويطلق ابن عزرا على كل غرض بديعي مسمى "باب" فهو يقول مثلا : باب الاستعارة، وباب الوحي والإشارة ، وهكذا على النحو الذي سار عليه ابن المعتز في كتاب البديع، وابن رشيق في كتاب العمدة.

(91) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 189، 195، 202، 204، 209، 211، 214، 215، 217، 219، 221، 222، 225، 229، 231، 234، 239، 241، 249.

(92) عبد الله بن المعتز، كتاب البديع، تحقيق وتعليق، أغناطيوس كراتشقوفسكي، بغداد، مكتبة المثنى، 1967، ص. 2 - 3، 64، 68 - 74.

النماذج التي توضح المنهج الذي اتبعه في دراستها، والوقوف عند بعض الملحوظات التي يوردها مما يساعد على استكناه موقفه من البيان عند العرب.

عَّرف ابن عزرا الاستعارة تعريفا مستقى من تعريف ابن المعتز، فقد عرفها ابن المعتز بأنها : "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها، مثل أم الكتاب، ومثل جناح الذل". [93] وقد ردد ابن عزرا هذا التعريف لكن مع شيء من الاضطراب في التعبير حيث قال : "ومعنى الاستعارة الكلمة بشيء لم يعرف بشيء قد عرف" [94]. ويبدو أن ناسخ المخطوط، أو محققه لم يحسنا نقل تعريف ابن عزرا للاستعارة فجاء تعريفه لها مضطربا تنقصه بعض الكلمات والحروف.

ثم أشار ابن عزرا إلى أهمية الاستعارة في الكلام المنظوم والمنثور فذكر أن الكلام إذا كسوته ثوب الاستعارة جمُلت ديباجته، ورقت زجاجته، وأن بين الكلام المستعار والعريان منه مثل الذي بين العي والبيان، [95] ثم أضاف أن الإفراط في استعمال الاستعارة لدى بعض الشعراء العرب واليهود قد أدى إلى وجود استعارات قبيحة . وردّ على بعض من أنكر الاستعارة من العلماء اليهود المعاصرين له واصفا إياهم بمجانبة الطريق السوي ؛ لأن الاستعارة في النصوص العبرية كثيرة لا تحصى، فلا بأس بها، بل لا غنى عنها [96]. ثم أورد نماذج من الاستعارات الواردة في الكتب الدينية اليهودية القديمة [97] وأعقب ذلك بقوله :

(93) المصدر نفسه، ص، 2.
(94) كتاب المحاضرة والمذاكرة، 192.
(95) المصدر نفسه، ص، 189.
(96) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(97) المصدر نفسه، ص، 190 - 191.

"وقد أفصحت العرب بتفضيل هذا اللسان (الاستعارة) وأعلنت تعظيمه، وجعلته من مفاخر أهل البيان، وهتفت بإثبات الفضل لمنتحلي ذلك في أشعارها، كما جاء منه في قرآنهم نحو : وإنه في أم الكتاب، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، واشتعل الرأس شيبا. وكثير مثله يفوت العدد جلبت لك هنا" [98].

ثم أشار ابن عزرا إلى أنه قد استخدم الاستعارة في أشعاره، وخطبه، ورسائله بعدما وجدها مستعملة في الكتب المقدسة [99]. ثم أورد نموذجا واحدا للاستعارة في الشعر العربي وهو قول ذي الرمة في وصف طول الوقوف على الديار، والبكاء على الآثار الدارسة :

وقفت بها حتى ذوى العود في الثرى
وساقَ الثُّريا في ملاءته الفجرُ

وذكر أن الشاعر في هذا البيت قد استعار للفجر ملاءة وهو ليست له ملاءة له على الحقيقة [100]. ثم أورد مثالا للاستعارة من الشعر العبري بيتا لابن جبيرول معناه بالعربية :

ولبسَ الليلُ درعَ الظلام / وطعنه الرعدُ بخنجر البرق

وقال إن ابن جبيرول قد "استعار لظلمة الليل "الدرع"، ولنورالبرق "الخنجر" ومن صفتة "الطعن"، وجميعها من أسباب الحرب" [101].

ومن بين ماتحدث عنه من الأغراض البديعية حسن الابتداء، وحسن التخلص، وهما يمثلان الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد جمع بينهما

(98) المصدر نفسه، ص، 191.

(99) المصدر نفسه، ص، 192.

(100) المصدر نفسه، ص، 193. وانظر : العمدة، ج، 1، ص، 269.

(101) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 194. وترجمة البيت من العبرية إلى العربية قام بها محقق الكتاب الدكتور شعبان محمد سلام. انظر الهامشين 1، 2 من الصفحة 194.

ابن عـزرا في موطن واحـد لتقاربهـما فـي الموضوع كما يقـول[102]. وقـد ذكر أن هنـاك مَنْ استحسـن ابتداء القصـائد بالتشبيب، ثم الانتقـال بعد ذلك إلى الغـرض الرئـيس من مـدح أو ذم أوغيـرهمـا. وهنـاك من لم يرض عن البدء بالتشـبيب ؛ لأن ذلك سيكون على حسـاب الغـرض الرئيس، كـالمدح مثـلا، فلا يصل الشـاعر إلى غـرضه إلا وقد فتـرت نفسه، واستهلك أفضل قوافيه في تشبيبه[103]. ثم أورد عدة ابتـداءات لشعراء عـرب لم يفتتحـوا قصائدهم بالتشبيب، أولهم أبو العتاهية في قوله :

إنـي ِأمنْتُ من الزمـان وريبـه   لما علقـت من الأميـر حبـالا[104]

والثاني هو أبو الطيب المتنبي في قوله يمدح سيف الدولة :

لكل امرىء من دهره ما تعودا   وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

ثم أورد مطلع قصيدة أوس بن حجـر في رثاء فضالة بن كلدة :

أيتهـا النفـس أجملـي جزعـا   إن الـذي تحذريـن قـد وقعـا

وقال إن هذا المطلع من المطالع المستحسنة، وأن ابن جبريال قد استفاد منه فـي أحـد أبيـاته. ثم أورد كـذلك مطلع قـصـيـدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد :

أصَمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا   وأصبح مغنى الجود بعـدك بلقعا

(102) المصدر نفسه، ص. 241.

(103) المصدر نفسه، ص. 241. وانظر : الشعر والشعراء، ج. 1، ص. 74 - 76.

(104) لقد وهم ابن عزرا هنا فهذا البيت ليس مطلع القصيدة وإنما ترتيبه العاشر بين أبياتها، وقد تضمنت الأبيات السابقة عليه نسيبا من ذلك قول أبي العتاهية :

بالله قولي إن سألتك صادقا   أوَجَدْتِ قتلي في الكتاب حلالا

انظر : أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دمشق، مكتبة دار الملاح، 1384/1964، ص. 603 - 605. العمدة، ج. 2 ص. 133.

وقد ذكر أن مثل هذا كثير لا يحصى [105]. كما ذكر أن هناك من الشعراء اليهود من ابتدأ المديح بدون أن يقدّم له بتشبيب، واستشهد على ذلك بنماذج من شعره ومن شعر ابن جبريال [106].

أما التخلص من شيء إلى غيره فقد ذكر ابن عزرا أن المتأخرين من الشعراء العرب قد أُولِعوا به كثيرا، ولكثرة شيوعه لم يَرَ حاجة إلى إيراد أمثلة له. أما الشعراء اليهود فإن التخلص لديهم قليل، وقد أورد نماذج له من شعر الناجيد، وابن جبريال [107].

وقد ذكر أن الاستطراد على طريقة شعراء العرب، وهو أن يستطرد الشاعر مثلا من مدح إلى ذم، لا وجود له في النصوص الدينية اليهودية، ولم يره ابن عزرا عند أي شاعر من شعراء اليهود [108]. أما مزج الشك باليقين فهو كثير عند العرب قليل لدى اليهود. [109] وأما الإيجاب والسلب فهو قليل في النصوص الدينية اليهودية، وقد أخذه الشعراء اليهود من الشعراء العرب [110].

وقد ألحق ابن عزرا بالأبواب العشرين بابا إضافيا طويلالم يعطه رقما مثلما فعل بالأبواب العشرين، وجعل عنوانه "الأمثال والأحاجي". وقد ذكر ابن عزرا في هذا الباب أن "جميع الملل ضربت الأمثال واستحسنتها، والعرب تفضلها وتروي حوادثها، وفي قرآنها قيل : وتلك

(105) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 242 - 244. وانظر : الشعر والشعراء، 1، ص، 65، 207. العمدة، ج، 2، ص، 149.

(106) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 242 - 244.

(107) المصدر نفسه، 246 - 247. وانظر : العمدة، ج، 1، ص، 236 - 239.

(108) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 249. وانظر : العمدة، ج، 2، ص، 39 - 42.

(109) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 250. وانظر : العمدة، ج، 2، ص، 66 - 68.

(110) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 250. وانظر : العمدة، ج، 2، 80 - 82.

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. وقيل إن المثل يجمع ثلاث خلال : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه... وبعض علماء ملتنا قال إن المثل هو الكلام المجرد، وليس كذلك. إنما المثل الكناية دون التصريح والمعنى واحد. والألغاز والأحاجي معها من واد واحد وقريب منها". (111) وقال ابن عزرا : إن "الأحاجي دونَ الأمثال موجودة عندنا ... وقد ضرب الملحدون الأمثال الباطلة فأنكر ذلك عليهم النبي". (112) ثم أضاف أنه توجد لدى العرب أبيات تشتمل على مَثَلَيْن، وعلى ثلاثة أمثال، واستشهد على المَثَلين بقول امرىء القيس :

الله أنجح ما طلبتَ به والبر خير حقيبة الرَّحْل

واستشهد على الثلاثة بقول زهير :

وفي الحلم إذعان، وفي العفو دُرْبَةٌ

وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق (113)

وفيما يتعلق بالألغاز والأحاجي والمعمى ذكر ابن عزرا أن "لشعراء العرب في الأحاجي والألغاز والمعمى شعر كثير لا يحصى بسرعة، والعلم به قليل الفوائد، وتبع بعضُ شعراء اليهود رأيَهم فجاء غير مفلح إلا النزر اليسير. وكذلك الفكاهات والمهاترات لم تحسن فيها أقوالهم فإنهم تسوروا على اللغة العبرانية البريئة من صنوف الطنز والهمز". (114) وقال : إن "شعراء العرب استحسنوا إدخال آيات من قرآنهم على ما يسمونها آيات في شعرهم، وهي عندهم من مفاخر أقوالهم ... كقول بعضهم :

---

(111) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 252. وانظر: العمدة. ج. 1، ص280، 307 - 309.

(112) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 257.

(113) المصدر نفسه، ص. 261 - 262. وانظر هذا الكلام وبيتي الشعر في "باب المثل السائر" من كتاب : العمدة، ج. 1، ص. 282 - 283.

(114) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 264. وانظر : العمدة، ج. 1، ص. 307 - 309.

خُطَّ بالمسك على أبوابها ادخلوها بسلام آمنين

وقد تمكن لشعراء ملتنا قريب من ذلك في مصارع أبيات مختلفة الأعاريض بزيادة قليلة أو بنقصان يسير ... ولشعراء العرب عجيبة في أبيات معاني مستخرجة من قرآنهم لا تُستَخرج إلا منهم نحو قول أحدهم في النحول :

ولو أن ما بي من نحول مركب
على جمل ما كان في النار خالد

لأن في قرآنهم : ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وهو عين الإبرة ... وفي أصحابنا من تبع هذا الرأي فصرف أبيات معاني شرحها من الكتب المقدسة، فمنهم من استوفى غرضه في بيت، ومنهم من تمه في بيتين" (115). واستشهد على ذلك بنماذج من شعره، وشعر الناجيد، وابن حسداي، وابن سهل، وابن جبريال (116).

وقد اختتم ابن عزرا كتابه بقصيدة طويلة نظمها باللغة العبرية وضمن بعض أبياتها جميع الأغراض البديعية السابقة، وقد فعل ذلك من أجل أن يسهّل على الدارس تذكر هذه الموضوعات. يقول : "ورأيت أن أذيل هذه المقالة بقصيدة ضَمَّنتُ بعضَ أبياتها جملةَ الأبواب المذكورة فيها من جهة البديع لتجده في هذه فتنظر إليها من كثب بمشيئة الله تعالى" (117).

مما سبق يتبين بوضوح أن موسى بن عزرا كان يَعُدُّ البيان العربي القدوة والمثال الذي يطلب من أبناء ملته أن يحتذوه وأن يستفيدوا منه

(115) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص. 264 - 266.

(116) المصدر نفسه، 265 - 266.

(117) المصدر نفسه، ص. 286 - 273.

بقدر الطاقة. وموقفه من اللغة العربية، ومن العرب أنفسهم وما وهبهم الله من الفصاحة وذلاقة اللسان موقف تبجيل وتقدير يطالعنا في معظم صفحات الكتاب. أما الشعر العربي والبلاغة وهما أكثر ما شغل ابن عزرا به نفسه في كتاب المحاضرة والمذاكرة فإنه يرفعهما إلى أعلى الدرجات وينصب منهما مثالا يطلب من أبناء ملته أن يسعوا إلى احتذائه. ولا يستغرب هذا الموقف من ابن عزرا فهو قد عاش بين العرب في الأندلس وحذق لغتهم، وتثقف بثقافتهم، واتخذ من بعضهم أصدقاء له، ثم عاشر غيرهم في إسبانيا المسيحية عندما ترك وطنه غرناطة ورأى الفرق بين الحضارتين والشعبين. لقد لقي اليهود من الحرية في الأندلس مالم تلقه جالية أخرى من جالياتهم في أي قطر آخر. وقد كان من بينهم في الأندلس وزراء وأصحاب نفوذ تسنموا أعلى المناصب. وقد ساعد هذا الوضع الجالية اليهودية على تطوير نفسها في شتى مناحي الحياة المادية والفكرية. لقد نهضت اللغة العبرية من سباتها وازدادت العناية بها كثيرا. ونشأ الشعر العبري مترسما خطى الشعر العربي، وازدهرت الدراسات التلمودية، والفلسفة اليهودية، وكثر الأطباء والعلماء اليهودكثرة لافتة للنظر ولذلك لم يكن غريبا أن يطلق اليهود أنفسهم على هذه الفترة الزمنية من حياتهم في الأندلس مصطلح "العصر الذهبي" (118).

إن كتاب المحاضرة والمذاكرة كتاب ينطق بالثناء على العرب ولغتهم وآدابهم. والشيء الوحيد الذي بدا أن ابن عزرا قد تردد فيه هو ما يتصل بما ذكره من أن متأخري المسلمين قد جعلوا فصاحة القرآن الكريم الدليلَ المعجز على صحته، وأن بلغاء العرب لا يستطيعون الإتيان بمثله. يقول ابن عزرا :

(118) المصدر نفسه، ص، 72 - 92. طبقات الأمم، ص، 202 - 207. وانظر : Judaism, p, 192 - 193.

" ... حتى إن هذه العشيرة المتأخرة الإسلامية جعلت فصاحة قرآنها المعجِزَ على صحته، وإن أولي البلاغة منهم لا يطيقون على مثله، والرَّدُّ عليهم ليس مما نحن فيه. وقد بيَّن رأس المتيبة الربي شموئيل بن حفني - دام ذكره - في كتابيه : نسخ الشرع وأصول الدين وفروعه، وداود الرقي، المعروف بالمقمص، في كتابه الملقب بالعشرين مقالة ما فيه الكفاية لمن التمسه منها، حاشا ما افترق للربي سعدية في كثير من تواليفه. وقد عارض أبو العلاء المعري هذا القرآن بتأليف فصيح سماه الفصول والغايات، فأدرك شأوه في الفصاحة لا في كثرة القول" [119]. لم يصرح ابن عزرا برأيه في هذا الموضوع واكتفى بالقول بأن هذا الأمر خارج عن موضوعه لكن استخدامه لعبارة "والرَّد عليهم" توحي بأنه لا يرى ما يراه المسلمون بشأن كون فصاحة القرآن هي الدليل على إعجازه. والعلماء اليهود الذين أشار إليهم ممن ناقشوا هذا الموضوع لم يتح للباحث الاطلاع على آرائهم. ويتصل بهذا الموضوع ما أورده ابن عزرا في الفصل المعنون "كيف صار الشعر في ملة العرب طبعا وفي سائر الملل تطبعا" من نقاش دار بينه وبين بعض فقهاء المسلمين بشأن فصاحة الوصايا العشر التي يسميها ابن عزرا "العشر كلمات". يقول ابن عزرا : "ولقد سألني في أيام الحداثة في دار نشأتي بعض أعلام فقهاء المسلمين، كنت صنيعته ومُدِلاًّ عليه، أن أتلو عليه العشر كلمات باللسان العربي، ففهمت مغزاه أنه يريد يستقصي فصاحتها، فسألته أن يتلو علي فاتحة قرآنه باللسان اللاتيني، وكان ممن يتكلم به ويفهمه، فلما تدبر تحويله إلى هذا اللسان سمُجَ لفظه ... ففهم مرادي، وعفاني مما سألني عنه". [120] وهذا الكلام يشير إلى اهتمام ابن عزرا منذ مطلع شبابه بفصاحة النص وانشغاله به، ومناقشته مع العلماء. ولعله في هذا الحوار الذي جرى بينه وبين الفقيه المسلم كان

(119) أحمد شحلان، " من الأدب العربي- العبري ... " ص، 86 - 87. كتاب المحاضرة والمذاكرة، 61 - 62.

(120) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 66.

متأثرا، ولو من بعيد، بتعليل الجاحظ لعدم ترجمة الشعر ؛ لأنه إذا ترجم "تقطّع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب" [121].

وموضوع إعجاز القرآن في نظر المسلمين قد أُلّفت فيه كتب مستقلة ورسائل خاصة. ومجمل الرأي فيه أن هناك من الدارسين من قال إن القرآن معجز لما تضمنه من إخبار عن المغيبات والصدق والإصابة في ذلك كله، وهناك من قال : إنه معجز لما تضمنه من أخبار عن قصص الأولين وسير المتقدمين، وهناك من قال إنه معجز لما تضمنه من تشريع، وهناك من قال بالصَّرْفَة، وهناك من قال إن الإعجاز يكمن في نظم القرآن وتأليفه، وهذا الرأي الأخير هو الأشهر وهو رأي الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني [122].

أما ما قاله ابن عزرا عن أبي العلاء المعري من أنه قد عارض القرآن "بتأليف فصيح سماه الفصول والغايات، فأدرك شأوه في الفصاحة لا في كثرة القول" [123].فالأرجح أن أبا العلاء لم يقل بذلك وإنما قال به خصومه الذين أرادوا أن يُشَنِّعوا عليه، ويتهموه بالكفر لأشياء أخذوها عليه. وقد أورد ياقوت هذه القصة على نحو يوحي بعدم صحتها يقول : "قال السلفي : حُكِيَ عن أبي العلاء المعري في الكتاب الذي أملاه

(121) كتاب الحيوان، ج، 1، 75.

(122) انظر : إعجاز القرآن، ص، 33 - 50. دلائل الإعجاز، ص، 8 - 10، 38 - 42، 80 - 86، 385 - 401، 578، 589. حمد بن محمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، منشور ضمن " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن "، تحقيق، د. محمد خلف الله و د . محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1968/1387م، ص ،21 - 29. علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، منشور ضمن " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن "، ص، 75 - 76، 109 - 113 .سر الفصاحة، ص، 89 - 90. ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1993، ج، 1، ص، 325.

(123) كتاب المحاضرة والمذاكرة، ص، 62.

وترجمه "بالفصول والغايات"، وكأنه معارضة منه للسور والآيات، فقيل له : أين هذا من القرآن ؟ ..." [124] فالذي حكى هذه القصة عن أبي العلاء شخص مجهول الاسم إذ القصة قد صُدِّرت بالبناء للمجهول "حُكِيَ". ولم تقل القصة إن أبا العلاء قد عارض بكتابه القرآن الكريم، وإنما قالت : "وكأنه معارضة منه للسور والآيات". ثم إن الدعوى المزعومة لم تلقَ قبولا من سامعيها وإنما استنكارا منهم بدليل أنه "قيل له : أين هذا من القرآن ؟". أما أبو العلاء نفسه فقد سمى كتابه : "الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ" [125]. فهل يكون كتاب أنشىء من أجل تمجيد الله معارضة للقرآن الكريم ؟ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الكتاب كما يذكر ياقوت الحموي يقع في سبعة أجزاء، ومقداره مائة كراسة. وهو مرتب على حروف المعجم [126]. والذي وصل إلينا منه هو الجزء الأول فقط، وهذا الجزء يحتوي على الحروف من الهمزة إلى الخاء، وهو يقع في 564 صفحة، فالكتاب طويل جدا. فكيف يقول ابن عزرا : إنه أدرك شأو القرآن في الفصاحة لا في كثرة القول ؟ يبدو أن ابن عزرا لم يطلع على الكتاب، ناهيك عن أن يكون قد قرأه [127]. ولعله سمع بتلك الدعوى على أبي العلاء المعري فرددها مع المرددين، ثم أضاف إليها من عنده "فأدرك شأوه في الفصاحة لا في كثرة القول".

د . محمد الهدلق

جامعة الملك سعود - كلية الآداب

---

(124) معجم الأدباء، ج، 1، ص 305.

(125) انظر : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، تحقيق، محمود حسن زناتي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، صفحة العنوان، وانظر، ص، 7 - 8.

(126) معجم الأدباء، ج، 1، ص، 327 - 328.

(127) أحمد شحلان، "من الأدب العربي - العبري ..."، ص، 87.